التثنية فى الاسماء التاريخية

اسلوب عربي قديم

الاستاذ ناجى معروف

١ - زيادة الالف والنون فى الاعلام والقطائع والانهار ليس محصورا فى البصرة :

لقد جابهتني ، وأنا أبحث فى (خطط البصرة القديمة) مسألة لغوية تاريخية تتلخص فى أن كثيرا من القطائع التى اقطعها الخلفاء والولاة فى البصرة ، وكثيرا من الانهار التى حفرت أو أقطعت يومئذ كانت تثنى على الاغلب بالالف والنون • ولا يزال بعض هذه الاسماء المثناة بالالف والنون مستعملة فى البصرة ، وما جاورها حتى اليوم ، تقول حَمْدان فى تثنية حمد ، ومهيجران فى تثنية مهيجر ، وعبّادان فى تثنية عبّاد ••• الخ •

وقد ذكر البلاذرى فى (فتوحه) ، وياقوت فى (معجم بلدانه) عددا من الاسماء المثناة التى أطلقت على القطائع ، والانهار التى أقطعت فى البصرة ، أدوّنُ لك جانبا منها ثم اذكر ما يماثلها فى بلاد فارس ، وخراسان • ثم ارجعُ بك الى الجزيرة العربية لأثبت لك ان هذا الاسلوب فى التسمية أو التثنية ، انما هو أسلوب عربي قديم ، مأخوذ فيما أرى من جزيرة العرب ، وليس من الفرس ، كما انه ليس بصريا خاصا بالبصرة • ولعل فى اغفال البلاذري تفسير هذه الصيغة ما يشير بوضوح الى أن هذا الاسلوب ، أسلوب عربى بحت ، وليس طارئا على اللغة العربية • ثم جاء ياقوت بعده بعدة قرون وحاول أن يجعل هذا الاسلوب استعمالا بصرياً ، بينما تشير الشواهد التى ذكرها فى تضاعيف (معجم البلدان) ، وما ورد فى الشعر الجاهلى ، الى ان هذا الاسلوب كان معروفا فى الجزيرة العربية قبل الاسلام •

وقد حاولت أن أجد شرحا لذلك عند الكتّاب ، والباحثين المحدثين ، فلم أعثر على شيء من ذلك • فالمستشرق « پلا Pellat »[1] اكتفى

(١) ص ٣٧ من كتابه الجاحظ •

بقوله : « القطائع التى أطلق عليها أسماء أصحابها مضافا اليها ألف ونون » • والدكتور أحمد كمال الدين لخّص رأي ياقوت الحموي بقوله : « ان الالف والنون المذيل بهمـا على كل عَلَم استعمال أسلوبى خاص بالبصريين[٢] واليك :

(أ) أسماء قطائع وأنهار بصيغة الرفع أو النصب تكون مبنية وتلازم حالة واحدة اما الفع واما النصب •

لقد ذكر البلاذرى عددا من القطائع ، والانهار بأسماء أصحابها مثناةً فى حالة الرفع ، فمن القطائع المذكورة :ـ

بلالان أى قطيعة بلال بن أبي بردة

عبّادان أى قطيعة عبّاد بن الحُصَين

مغيرتان أى قطيعة المغيرة

زيادان أى قطيعة زياد

أزرقان أى قطيعة الأزرق بن مسلم

خَيْرتان أى قطيعة خَيْرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب •

أميّتان أى قطيعة أبى أمية

ومن الانهار :ـ

نهر يزيدان أى نهر يزيد بن عمرو الأُسيدى

نهر حُصَيْنان أى نهر حُصَيْن

نهر عُبَيْدان أى نهر عُبَيْد

نهر منْقذان السُّلمي أى نهر منقذ السُّلمي

نهر نافعان الثقفي أى نهر نافع الثقفي

نهر أسلمان الكلابي أى نهر أسلم الكلابى

نهر قُتَيْبَتان أى نهر قتيبة

وهكذا يمكن أن نقرأ القطائع والانهار التالية : مَعْقِلان ، ومحمدان ،

---

(٢) ص ٣٧ من الحاشية المرقمة (١) من كتابه الحياة الادبية فى البصرة •

وعبدالرحمانان ، وخالدان ، وكثيران ، وشبْلان ، وطلحثان ، ومُهَلَّبان ، وجُبَيْران ، وخَلَفان ، وحفْصان ، وسليمانان ، وصَلْتان ، وعباسان ، وقاسمان . ويمكنك أن تقول : قصر كوكبان[٣] ، ومرّ الظَّهْران ، وقصر زيدان ، وبالسيدان[٤] ، وبالكومخان .

ومن أمثلة الاسماء المثناة التي تلازم حالة النصب او الجر فقط : البحرَيْن ، والجامعَيْن ، والقرنَيْن ، والغَمْرين ، ... الخ .

(ب) أسماء مثناة تكون معرفة تتغير بحسب حروف الجر ، أو الحروف المشبهة بالفعل ، ذكرها ياقوت وغيره كالجلين : أجأ وسلمى[٥] ، والروضتين ، والرامتين ، والرقمتين ، والرمانتين ، والقرينَيْن[٦] ، والسهلين[٧] ، والعروسين من حصون اليمن[٨] ، والعَلَمَيْن ، والأجرعين .

٢ ـ دلالة الاسماء المثناة

ان الامثلة التي ذكرتها ، والامثلة التي سأسوقها بعد ذلك تدل بوضوح تام على أن بعض هذه الاسماء انما ثنيت للدلالة : ١ـ على التثنية ، ٢ـ على المفرد ، ٣ـ للتغليب ، ٤ـ للضرورة الشعرية ووزن الشعر ، ٥ـ على الجمع .

ويبدو لي ان بعض هذه الاسماء المثناة انما ثنيت لأنها تدل على وجود شيئين اثنين ، وليس للنسبة . فان (حُصَيْنان) ، عبارة عن قطيعة ونهر . و (نافعان الثقفي) عبارة عن قطعية ونهر أيضا . قال ياقوت[٩] في «زيادان» ما يلي : زيادان : ناحية ونهر بالبصرة منسوبة الى زياد مولى بني الهجيم جد يونس بن عمران بن جميع بن بشار بن زياد ، وجد عيسى بن عمر النحوي ، وحاجب بن عمر لأمهما . وقال في المسروقانان : نهران بالبصرة

---

(٣) مراصد الاطلاع ٣ : ١٢٤١ .
(٤) ياقوت ٣ : ٢٩٤ .
(٥) ياقوت ٢ : ١٠٢ .
(٦) ياقوت ٣ : ٢٦٩ .
(٧) ياقوت ٣ : ٢٩٠ .
(٨) ياقوت ٤ : ١١٢ .
(٩) ياقوت ٣ : ١٦٢ .

لأبي بكرة • وحكَمان مثنى ، اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبي العاصي الثقفي • وهذا ما يؤيد رأينا من أن الالف والنون هما للتثنية وليسا للنسبة • وان مثل هذه الكلمات ما قيلت بهذه الصيغة الا لوجود شيئين كالنهر ، والناحية • أو في نهرين ، أو في قطيعتين ، أو جبلين ، أو ماءين •• الخ • بينما نجد ان ياقوت يقول في هذا الصدد : وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا حتى سموا عبداللان في قرية سميت بعبدالله • وكانت هذه الضيعة لبني عبدالوهاب الثقفيين موالي جنان صاحبة أبي نواس[١٠] •

ويقول عن أسلمان[١١] : هو نهر بالبصرة لأسلم بن زرعة اقطعه اياه معاوية •وهذا اصطلاح قديم لأهل البصرة اذا نسبوا النهر والقرية الى رجل زدوا في اسمه الفا ونونا ، كقولهم : عبّادان نسبة الى عبّاد بن الحُصَيْن • وزيادان نسبة الى زياد حتى قالوا عبداللان نسبة الى عبدالله • وكأنها من نسب الفرس لأن أكثر أهل تلك القرى فرس الى هذه الغاية • وقد فنّدنا هذا الرأي وبينا فساده وأثبتنا ان هذا الاسلوب ، أسلوب عربي ، قديم ، وجد مع العرب في جزيرتهم قبل الاسلام •

(أ) **دلالة الاسماء المثناة على النسبة** :وقد نجد في اللغة الفارسية بعض الكلمات المنسوبة بصيغة التثنية فهم يقولون : الدَّيْلَمان وكأنه ـ كما يقول ياقوت ـ نسبة الى الدَّيْلَم او جمعه بلغة الفرس[١٢] غير أنني استبعد أن يكون العرب قد استعملوا للنسبة هذا الاسلوب الفارسي للاسباب التالية :

١ ـ ان نسبة القطائع بالعربية الى زياد ، وعُبَيْد ، وبلال ، وسعد ، وسليمان هي : الزيادية ، والعبيدية ، والبلالية ، والسعدية ، والسليمانية ، وهي أسهل بكثير من قولك : زيادان وعبيدان وبلالان وسعدان وسليمانان •

---

(١٠) معجم البلدان ٢ : ٢٨٠ •
(١١) ياقوت ١ : ١٨٩ •
(١٢) ياقوت ٢ : ٥٤٤ •

٢ ـ لا يمكن أن نقول : ان العرب بعد الاسلام مباشرة قد خضعوا للفرس فى لغتهم فاقتبسوا منهم هذا الاسلوب وهم فى ابان مجدهم ، واستعلائهم على الفرس الذين انضووا تحت لواء العرب .

٣ ـ ان العرب كانوا يأنفون يومئذ أن يأخذوا من الاعاجم لغتهم ، أو دينهم اللذين كانوا يبشرون بهما فى البلاد المفتوحة .

(ب) دلالة الاسماء المثناة على التثنية :

لذلك كله استبعد أن يكون العرب قد استعملوا هذا الاسلوب للنسبة ، وانما استعملوه للتثنية كما مر بك ، وربما استطعنا أن نعكس الامر فنقول : ان الفرس قد استعملوا هذا الاسلوب للتثنية أى لأكثر من واحد باعتبار ان التثنية غير موجودة فى اللغة الفارسية . كما تدل على ذلك الاعلام الآتية :ـ

طابران : وهما مدينتان بطوس ، أكبرهما : طابران والاخرى نوقان[١٣] .

وطالقان : وهما بلدتان أحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ[١٤] .

وطبران : اسم لبلدة . قال ياقوت[١٥] وهى تثنية طَبَر .. والالف والنون فيه تشبيها بالنسبة .

والطَّبَسان : تثنية طبس وهما : بلدتان كل واحدة يقال لها : طبس . او هما بابا خراسان .[١٦]

وطخارستان : العليا والسفلى . ياقوت ٤: ٢٣

والماهان : الدينور ونهاوند . ياقوت ٥: ٤٨

ومع ذلك كله فان الاعلام الفارسية وان دلت على شيئين اثنين فهى ألفاظ قليلة جداً بعكس الاعلام العربية فانها كثيرة لا تعد ، استُعملت فى الجاهلية ، والاسلام ، فى الجزيرة العربية ، وخارجها . وذُكِر الكثير

---

(١٣) ياقوت ٤ : ٣ .
(١٤) ياقوت ٤ : ٦ .
(١٥) ج ٤ : ص ١٣ .
(١٦) ياقوت ٤ : ٢٠ .

منها فى الشعر الجاهلى ، وفى الشعر الاسلامي ، وفي القرآن أيضا ، الأمر الذى يجعلنا نؤمن بأن هذا الاسلوب العربى قد طغى على البلاد التى تجاور أرض العرب فانتقل منها الى الفرس عن طريق العراق قبل الفتح ، وبعده • وعلى هذا يكون الفرس هم الذين أدخلوا هذا الاسلوب الى لغتهم ، اقتباسا من العربية • وليس العكس ، وقد استعمل العرب هذا الاسلوب فى بلاد الفرس أيضا سواء دل على المفرد ، أو التثنية • قالوا : القَرِينَيْن من قرى مرو سُميت بالقَرِينَيْن لكونها كانت تقرن مرة بمرو الشاهجان ومرة بمرو الروذ (ياقوت ٤: ٣٣٨) وقالوا : فِيلان : بلد ، وولاية قرب باب الابواب (ياقوت ٤: ٢٨٦) ، والصالحان : محلة بأصبهان •

وفي فتوح البلدان للبلاذري ، ومعجم البلدان لياقوت ، ومراصد الاطلاع لصفي الدين عبدالمؤمن ، ودواوين الشعر العربية مئات من هذه الاسماء التاريخية المثناة تدل على التثنية العربية • وتشير الى أن هذا الاسلوب عربى قديم ، تمتد جذوره الى العصر الجاهلى ، وينتشر فى كل ناحية من نواحي الجزيرة العربية • وسأذكر لك من الامثلة بالاضافة الى ما ذكرته قبلا ما يؤكد هذا الزعم ويؤيده •

قالت العرب : القريتان • وأرادوا بهما مكة ، والطائف • وفى القرآن الكريم « وقالوا : لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » •

وفى شهر معن بن أوس :

لها موردٌ بالقريتين ومصدرٌ لفَوْتِ فلاةٍ لا تزال تنازله

والقريتان أيضا فى طريق مكة من البصرة وهما : قرية عبدالله بن عامر ، وقرية جعفر بن سليمان[١٧] •

وأبانان : أي أبان الابيض ، وأبان الاسود • وهما جبلان بنواحي

---

(١٧) ياقوت ٤ : ٣٣٦ •

البحرين ، الابيض لبني فزارة والاسود لبني أسد .

والحِيرتان : الحيرة والكوفة[١٨] .

والبصرتان : البصرة والكوفة[١٩] ويقال أيضا : الرافدان ، والمصران ، والعراقان[٢٠] .

والأبرقان : ويريدون به أبرقَيْ حجر باليمامة . وهو منزل على طريق مكة من البصرة « ياقوت ١: ٦٦ و ٣: ٧٣ » .

والأغرّان : وهما جبلان من حبال رمل البادية « ياقوت ١: ٢٢٤ » .

والاخرجان : جبلان في بلاد بني عامر ١: ١٢٠ .

والاخشبان : بمكة ١: ١٢٢

والقصران : بالقاهرة ٤: ٣٥٤

والأُخَيّان : جبلان ١: ١٢٥

واريكتان : جبلان ١: ١٦٦

والأزوران : وروضة الازورين ١: ١٦٩

والمَوْصِلان : للموصل والجزيرة ٥: ٢٢٤

والهَجَران : مدينتان متقابلتان ٥: ٣٩٢

وأشمذان : جبلان بين المدينة وخيبر .

والأشيمان : موضعان ١: ٢٠٣

والأعزلان : واديان وهما : الاعزل الريان والاعزال الظمآن .

والمديدان : جبلان ٥: ٧٧

والاملحان : ما آن لبني ضبة . ١: ٢٥٥

والضمران : جبلان ١: ٢٧١

والانعمان : واديان ٣: ٢٤٤

والرقّاشان : عمودان طويلان من الهضب ٢: ٥٦

---

(١٨) ياقوت ٢ : ٣٢٨ .

(١٩) راجع ياقوت ٣ : ١٥ و ٤ : ٩٣ .

(٢٠) ١٣٧ ، ٢٢٤ .

والرقبتان : جبلان أسودان ٢: ٥٧

وشمسان : مُوَيْهتان ٣: ٣٦٢

والرقتان : الرقة والراقفة ٣: ٥٧

ومما يدل على أن هذه الصيغة استعملت للدلالة على التثنية ما ذكره ياقوت[٢١] الحموى قال : روى أبو سعد عن محمد بن هبةالله البرجردى عن محمد بن طاهر المقدسى أن « عَبْدان » أحد شيوخ الحديث في مرو انما سمي بذلك لأن كنيته : أبو عبدالرحمن ، واسمه : عبدالله فاجتمع في اسمه وكنيته العَبْدان فقيل له عَبْدان .

ويظهر أن هذا الاسلوب ليس غريبا عن العرب فقد قال ياقوت نقلا عن البلاذري بصدد نهر سَيْحان ما يأتي : سَيْحان : نهر بالبصرة كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد أسمت العرب كل ماءٍ جارٍ غير منقطع سَيْحان[٢٢] .

(ج) دلالة الاسماء المثناة على المفرد :

لقد ذكر العرب أماكن في جزيرتهم ، وفي شعرهم بصيغة التثنية ولكنها تدل على المفرد . ويظهر أنها لم توضع أولا مفردة ثم ثنيت بل وضعت مثناة مجموعة من الاصل فهى صيغة مرتجلة ، قالوا :

يزيدان : نهر بالبصرة . قال ياقوت وهذا اصطلاح لأهل البصرة يزيدون فى الاسم ألفا ونونا اذا نسبوا أرضا الى اسم رجل . منسوب الى يزيد بن عمرو الاسيدي وكان رجل أهل البصرة في زمانه[٢٣] .

والقريتان : قرية كبيرة من أعمال حمص . ياقوت ٤: ٣٦٦

وشاتان : قلعة بديار بكر . ياقوت ٣: ٣٠٤

---

(٢١) معجم البلدان ١ : ٤٠٥ .
(٢٢) المصدر السابق ٣ : ٢٩٣ .
(٢٣) ج ٥ : ٢٣٦ .

والاجرعان : علم لموضع باليمامة ١: ١٠٢
والسِّيدان : موضع وراء كاظمة بين البصرة وهجر ٣: ٢٩٤
والاحصبان : موضع باليمامة ١: ١١٢
وشبلان : نهر بالبصرة ٣: ٣٢٢
والاشأمان : موضع في قول ذى الرمة :

كأنهـا بعد أحوال مضين لهـا بالأشأمين يمان فيه تسهيم ١: ١٩٥

والاحوران : موضع فى قول زيد الخيل :

وتقطع رمـل الاحوَرَيْن براكب
صبور على طول السُّرى والتَّهَجُّرِ ١: ١١٨

والاقدحان : موضع فى شعر ذى الرمة ١: ٢٥٣
والحصْنان : موضع بعينه ٢: ٢٦٣
المرغابان : نهر بالبصرة ٥: ١٠٧

(د) دلالة الأسماء المثناة على الجمع

ولما كانت اللغة الفارسية خالية من التثنية فقد يراد الجمع في الاسلوب المستعمل على صيغة التثنية ،

تقول : قصران الخارج
وقصران الداخل

وهما ناحيتان كبيرتان بالري كما تقول :

مَرْدان : في جمع مَرْد أي رجل
وزنان : في جمع زَنْ أي المرأة
والدَّيْلمان : قال ياقوت[٢٤]: كأنه نسبة الى الدَّيْلم أو جمعه بلغة الفـرس .
مختاران : قال ياقوت : كأنه جمع مختار بالفارسية[٢٥]

---

(٢٤) معجم البلدان ٢ : ٥٤٤ .
(٢٥) ٥ : ٧١ .

على ان هذا الاسلوب في الجمع انما هـو أسلوب عربي أيضا • قال ياقوت عند كلامه على « حِيزان » وهو بلد فى ديار بكر : يجوز أن يكون جمع الحَوْز[٢٦] وهو الشيء يحوزه ويحصله نحو رأل ، ورِئْلان • وقَتَب ، وقِتْبان (٤: ٣١٠) موضع في نواحي عدن • وذِئب وذِئبان وغمد وغَمْدان •• الخ

(هـ) دلالة الاسماء المثناة على التغليب والضرورة الشعرية :

قال ياقوت : [٢٧] والبُلَيَّيْن : تثنيـة بُلَيّ وقال : تثني الشعراء هذا وأمثاله كثيرا اما يعتقدون ضمه الى موضع آخر ثم يثنونه كما قالوا : أبانان ، وهما : جبلان بنواحي البحرين : أبان الابيض ، وأبان الاسود • واما للتغليب كما قـالوا : العُمران ، والقَمران في أبي بكـر وعمـر ، والشمس والقمر • وكما قالوا : الحَسَنان ، والعراقان ، والفراتان •• الخ واما لاقامة وزن الشعر •

وقال ياقوت عند ذكره « ابانان »[٢٨] : أبان جبل معروف ، وقيل : ابانين لأنه يليه جبل نحو منه يقال له شَرَوْرى فغلّبوا ابانا عليه فقالوا : أبانان •

ويظهر ان النحويين بحثوا في هذه المسألة ، فقالوا : ان أبانين ، وما أشبههما لم توضع أولاً مفردة ثم ثنيت ، بل وضعت كما أسلفنا من المبتدأ مثناة ، مجموعة • ولذلك يمكن أن نعد هذه الصيغة صيغة مرتجلة • قالوا : أبانان : علم لجبلين وليس كل واحد منهما أبانا على انفراده ، بل أحدهما أبان والآخر متالع •

وقالوا : قد يجوز أن تقع النسبة بلفظ التثنية ، والجمع • فتكون معرفة بغير لام ، وذلك لا يكون الا في الاماكن التي لا يفارق بعضها بعضا

---

(٢٦) ٢ : ٣٣١ •
(٢٧) معجم البلدان ١ : ٤٩٤ •
(٢٨) ١ : ٦٣ •

نحو أبانين ، وعرفات • وانما فرقوا بين أبانين ، وبين زَيْدَيْن من قِبَل انهم لم يجعلوا التثنية ، والجمع علما لرجلين ، ولا لرجال بأعيانهم • وجعلوا الاسم الواحد علما بعينه • فاذا قالوا : رأيت أبانَيْن فانما يعنون هذين الجبلين بأعيانهما المشار اليهما لأنهم جعلوا أبانين اسما لهما لا يشاركهما في هذه التسمية غيرهما ، ولا يزولان • وليس هذا في الأناسى ، لأن كل واحد من الاناسى يدخل فيما دخل فيه صاحبه ، ويزولان • ، والاماكن لا تزول فيصير كل واحد من الجبلين فيما دخل فيه صاحبه من الحال ، والثبات ، والجدْب والخِصْب ، ولا يشار الى أحد منهما بتعريف دون الآخر • فصار كالواحد الذى لا يزايله منه شيء • ومثل ذلك يقال فى القطائع ، والأنهر التي على صيغة التثنية كل منها يعتبر كالواحد الذى لا يزايله منه شيء •

٣ ـ التثنية فى الاسماء التاريخية اسلوب عربى قديم :

مما تقدم يمكن أن نقول : ان تثنية الاعلام ، والاسماء التاريخية ، بالالف والنون ، والياء والنون ، أسلوب عربي قديم ، كان مستعملا فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وبعده • وربما انتقل الى البصرة ، وسائر البلاد المجاورة للجزيرة العربية ، كبلاد فارس ، وبلاد الجزيرة ، ومصر عند الفتح الاسلامي • وانتشر بوجه خاص في العراق أو انه كان مستعملا في العراق ، حين كانت القبائل العربية تسكن فى بقاعه المختلفة • ومن العراق تنتقل الى فارس •

ويتطلب اثبات هذه الدعوى معرفة ما كان في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، من ثروة في المدنية والعمران ، وأساليب لغوية ، في لغتهم ، وأدبهم • ولذلك رجعنا الى المعاجم ، وكتب التاريخ الاسلامى ، لالقاء ضوء على هذا الاسلوب فتوصلنا الى أن تثنية الاعلام التاريخية ، أسلوب لم يكن مستعملا في البصرة فحسب • ولم يقتبسه العرب من الفرس ، ولم يكن يدل على المفرد فقط ، وانما هو أسلوب عربي قديم كان يطلق في الجزيرة العربية على المدن ، والقرى ، والجبال ، والمياه والرياض ، والدارات ،

والمنـازل ، والهضـاب ، والرمال ، والقصور ، والحصون ، والقلاع ، والآبار .. الخ .

ويتبين لنا أن أسلوب التثنية الذي شرحناه وأوردنا له الامثلة الـكثيرة أسلوب عربي صميم يدل أحيانا على المفرد ، باعتباره صيغة مرتجلة . كما يدل على الاكثر على التثنية . وعلى التغليب . ويستعمل لأقامة وزن الشعر وللدلالة على الجمع أيضا .